المحاضرة 12: علم اجتماع السكان

1- نشأة وتطور علم السكان:

مفهوم علم السكان: **يطلق مصطلح علم السكان على ذلك النوع من الدراسات العلمية التّي تهتم بشؤون السكان في أي مجتمع، وبنوع خاص وتوزيعهم الجغرافي داخل الدولة أو الإقليم وتركيبها ونموهم، وصفاتهم الديموغرافية ونشاطاتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وعلاقتهم بالموارد الطبيعية والغذائية والمائية وطريقة توزيعهم على المهن المختلفة، كما يطلق على علم السكان مصطلح الديموغرافيا التّي يعني الدراسة العلمية للسكان (منير عبد الله كرادشة، 2009).**

ظهر مشكل السكان قبل ظهور علم السكان، أوالديمغرافيا بكثير حيث كان هناك تعدادات للسكان، فالمجتمعات اهتمت بالتعداد السكاني في حالة ارتفاع العدد يستلزم نمو الموارد الاقتصادية، أما الثانية فالمقصود بها النقصان فيعتبر مشكل سكاني يستلزم بلد ضعيف، حيث انقسمت المذاهب الدينية، وأراء العلماء والمفكرون إلى تيارات مختلفة حول النمو السكاني، فتيار مشجع لنمو السكان وتيار معاكس لذلك، وأخر شجع على الاستقرار وآخرون بحثوا عن العدد المثالي، فالديانات مثلا شجعت (اليهودية، والمسحية، والإسلام، و البوذية) شجعت كثرة عدد السكان لنشر الدين وتأسيس الجيوش وتحقيق القدرة الاقتصادية والعسكرية حيث يظهر ذلك فيما يلي:

- كونفوشيوس:**قرن مشكل السكان بالعدد والمواليد، وتسيير البلاد والسكان والاقتصاد وصيرورة العائلة، يرى أن كثرة العدد مصدر الغنى والقوة لجميع الناس، لكنه يشترط أن يكون النظام ديكتاتوريا وطبقيا دائما.**

- ابن خلدون: **ابن خلدون يعارض كثرة العدد ولكنه يشترط نسبة الحضر تكون مرتفعة، لأنه يري أن البدو حطموا الحضارة والثروة النباتية وهدموا المدن، و تسببوا في تراجع الزراعة، لكنه بدوره لم يقدم عدد مثالي. نمو السكان في نظره مقرون بالموارد الغذائية والعمل مصدر الغنى كما قدم نظرية دورة السكان المقدرة لديه ب 40 سنة، (مرحلة الاستقرار ومرحلة الانحطاط)، حيث أن ابن خلدون يعطي أهمية بالغة للكثافة في مرحلة الاستقرار وارتفاع الكثافة يؤدي إلى ارتفاع مستوى المعيشة، وتحسين مستوى الاقتصاد وتحسين العمل يستلزم نهضة اقتصادية. ويرى أن البدو حطموا الحضارة إذا يشجع كثرة العدد في الحضر.**

علم السكان أو الديموغرافيا هو علم حديث النشأة لم يهتم العلماء في القدم بإحصاء السكان ومعرفة تركيباتهم وخصائصهم، وبالنظر إلى نشأة علم السكان في العصر الحديث فلم تبدأ الدراسة الفعلية للسكان إلّا سنة 1662 من خلال صدور كتاب ملاحظات طبيعية وسياسية لاستبيانات الوفاة الإحصائي جون جراوت وهو أوّل من ربط السكان بالإحصاء، وتوالت الدراسات بعد ذلك مثل دراسة أدمند هالي 1693 حيث يبين فيها أوّل جدول للوفاة، وفي القرن 18 ظهرت أول دراسة تربط بين السكان وأثره في المجتمع بواسطة توماس مالتوس في كتابه "مبدأ السكان وأثره على الارتقاء المستقبلي للمجتمع".

- مالتوس: **توماس روبرت:1766-1834اقتصادي بريطاني وُلدَ مالتوس في مدينة سري ببريطانيا، وكان يرغب في أن يكون رجل دين، إلا أنه بعد تخرجه في جامعة كمبردج عمل أستاذًا للتاريخ والاقتصاد السياسي في كلية شركة الهند الشرقية عام 1805م وبقي في هذه الوظيفة إلى أن توفي، اشتهر بمقالته عن مبادئ علم السكان سنة 1798م.**

وتقوم فكرته الأساسية في هذا الكتاب على أن أعداد السكان في العالم تميل إلى الزيادة، بينما كميات الطعام تقل. كما كان يعتقد أن الحروب والأمراض ستفتك بالأعداد الزائدة من البشر، ما لم يتم تحديد النسل(الموسوعة العربية العالمية:2019).

يرى مالتوس وجوب مواجهة الزيادة السكانية بإتباع موانع أخلاقية بأن يؤجل الرجال الزواج إلا أن تسمح لهم الظروف الاقتصادية التي تكفي تغطية احتياجاتهم الأسرية.

وأوحت مقالة مالتوس المذكورة إلى تشارلز داروين فكرة العلاقة بين التطوّر والبقاء للأصلح. وفشلت تنبؤات مالتوس في التحقق خلال القرن التاسع عشر، حيث أمكن عن طريق وسائل الزراعة المتقدمة إنتاج الطعام الكافي لمعظم الناس، إلا أن الزيادة المطردة في أعداد السكان في العالم في القرن العشرين وخاصة في الدول النامية أدت إلى التنبيه إلى أفكار مالتوس من جديد، حيث حذر معظم المحافظين من أن إنتاج الطعام قد لا يواكب أعداد السكان. ونتيجة لذلك فقد حث أنصار المالتوسية المحدثة على تنظيم النسل.حلاً لهذه المشكلة، على الرغم من أن مالتوس نفسه كان يرفض هذا الحل.

- سادلر: (1790-1870) حسب هذه النظرية أن هناك علاقة عكسية بين الغذاء والنمو وهذا ما ورد في كتاب القانون الحقيقي للسكان، الذي صدر 1837م أشد الناس قدرة على التناسل أشدهم بؤسا، وهو ما لم لا تسنده أي حقائق علمية.

- هربرت سبنسر: (1820-1903)أكد سبنسر في نظريته الطبيعية أن الفرد كلما أفرط في تأكيد وجوده قلت حظوظ الخلف ويتجلي ذلك عند السيدات العاملات والمنتسبات للطبقة الغنية، فهناك تعارض بين الفردية والتناسل خاصة عند النساء، كما أن زيادة حجم السكان من شأنها أن تسمح بحسن استغلال الموارد المتاحة، كذلك النزعة الفردية والسعي الحديث الإثبات الذات تستنفذ طاقة الفرد وتضعف قدرته على التناسل.

- كارل ماركس: (1818-1883) لا تختلف رؤية كارل ماركس العامة عن المجتمع وقضية السكان حيث فسرها في إطار المادية التاريخية، حيث يري أن نمو عدد السكان يؤدي إلى زيادة الإنتاج، هو ما يعني تضخم الثروة، بالتالي يسعى النظام الرأسمالي للاعتماد على الآلية والتخلي عن اليد العاملة مما يؤدي إلى زيادة رأس المال، وفائض في السكان.

ومع تطور علم الرياضيات والقدرة على الإحصاء تطور أيضا علم السكان وأصبح له تأثير واضح في المجتمع وحل المشكلات الخاصّة بالتكدس السكاني وتوزيع السكان(منير، 2009).

2- موضوع علم السكان: **يدرس علم السكان الظواهر السكانية أو الأحداث الديمغرافية وهي كل حدث أو واقعة يمكن أن تؤدي إلى تأثير على عدد السكان أو على تركيبته، بعد تكرر هذا الحدث وتراكمه ويمكن أن ينشأ عنه ما يسمى بالظواهر الديمغرافية والتي يمكن حصرها في الظواهر التالية:**

- الولادات: الولادة هي العملية التي يقوم فيها الجسم وعلى الأخص الرحم بقذف الجنين إلى خارج الجسم ويقوم الطبيب بتحديد اليوم المناسب لكل سيدة، فالطبيب هو صاحب قرار طريقة الولادة.

المواليد هم الأطفال الرضع الّذين ينجبهم السكان في فترة زمنية معينة، ونسبة المواليد هي السبيل الوحيد لقايس الخصوبة بالرغم من تجاهلها الحمل الّذي ينتهي عادة بالإجهاض، والمواليد الموتى، وتحسب نسبة المواليد على أساس عدد المواليد في السنة مقسوما على إجمالي عدد السكان في السنة مضروبا في 1000، ويعرف بمعدل المواليد الخام.

- الخصوبة: الخصب في اللّغة العربيّة تعني كثرة الكلأ والعشب في مكان ما، ومنه تربة خصبة وذهن خصيب، والخصوبة في علم الأحياء هي القدرة على الحمل وتهيؤ البويضة للتلقيح بعكس العقم.

والخصوبة في علم السكان هي العدد الواقعي لمن يولدون أحياء، فهي خصوبة واقعية، تتميز عن الخصوبة الطبيعية التّي تدل القدرة الإنسانية.

والخصوبة في علم السكان هي خصوبة الزوجين، والتّي يقصد بها عدد الأطفال الّذين يولدون أحياء وهي خصوبة مقصودة أو مخططة، وقد تقف عند طفل واحد، فالأسرة المخصابة هي من ولدت ولو طفلا واحدا، وذلك بعكس الأسرة العقيم التّي لم تنجب، أمّا الخصوبة السكان أو أي طبقة منهم فتعني العدد التكراري أو المعدل الإجمالي للمواليد بينهم.

وتصل القدرة البيولوجية على الإنجاب إلى أعلى معدلاتها في منتصف عمر الذكر (أي فترة الإنجاب) منها في أي وقت آخر وتتقدم هذه القدرة عند الإناث اللاتي يتجاوز سنهن سن 49 سنة؛ بينما تتفاوت هذه القدرة بين الذكور، وهكذا نقص القدرة على الإنجاب هو العامل الأساسي في تناقص معدلات الخصوبة.

ـ الوفيات: **تعد الوفيات ظاهرة سكانية ترتبط بانتهاء حياة الأفراد، وهي أشبه ما تكون بعملية الهدم في الكائن الحي، ويعتبر معدل الوفيات خاصّة الرضع مؤشرا لتقدم المجتمع اقتصاديا واجتماعيا، كما يعد مؤشرا على الكيفية التّي تتم بها عملية التنمية بينما يرتفع هذا المعدل في البلاد المتخلفة.**

والوفيات عامل فعال في تغير السكان، وهي تمكن من التمييز بين مجتمع وآخر، ويشير مقياس معدل الوفيات إلى عدد الوفيات التّي تحدث في سنة معينة في مجتمع ما لكل ألف من سكان هذا المجتمع (السيد، 2004).

-الهجرة: **حركة انتقال الأفراد أو الجماعات من مكان إقامة لآخر عندما تتوافر لديهم القصد أو النية للبقاء في المكان الجديد لفترة (غير قصيرة) من الوقت.**

يتضح مما سبق أن الظواهر الديمغرافية تتمثل في الولادات الوفيات الخصوبة الهجرة، ويمكن لكل تلك الظواهر المذكورة سابقا أن تتفرع لظواهر فرعية آخري ونجد مثل عدد الزواجات ووفيات الرضع والأمومة، والطلاق و الأطفال الزواجات الأولى وغيرها من الظواهر التي تمثل موضوع علم السكان.

3- ميادين علم السكان وعلاقته بعلم الاجتماع:

ـ ميادين الدراسة في علم السكان: **نظرا لتميز بعض الميادين بموضوع خاص وطرق خاصّة لدراستها فقد ظهرت فروع مستقلة ومتميزة عن بعضها الآخر في علم السكان نذكر منها:**

ـ الديموغرافيا الكمية**: هي مجموع الملاحظات والتحليل والتحصينات النظرية عن المنظور الرقمي في دراسة موضوع السكان، ويندرج ضمن هذا النوع ما يلي:**

ـ <u>الديموغرافيا الوصفية</u>: وتهتم بحجم السكان وتركيبتهم من وجهة نظر وصفية بحتة، وذلك بالاعتماد على الإحصائيات السكانية.

ـ <u>الديموغرافيا النظرية</u>: تهتم بالسكان من وجهة نظر عامة وتجريبية تجريدية مركزة على دراسة العلاقات بين الظواهر، ويندرج هذا النوع في الديموغرافيا الرياضية لاعتماده على الأساليب الرياضية.

ـ <u>التحليل الديموغرافي</u>: هو جزء خاص من الديموغرافيا الّذي يهتم بالتعبير عن الظواهر الديموغرافية من خلال الإعداد وتحديد كلّ ظاهرة على حدى، وعزلها عمّا عرف بالظواهر المشبوهة، ويهتم بدراسة العلاقات بين الظواهر الديموغرافية وحالات السكان.

ـ الديموغرافيا النوعية: **تهتم بتوزيع الصفات النوعية (ذهنية، جسدية، اجتماعية) داخل التجمعات السكانية، وتتضمن على الخصوص دراسة توزيع الصفات الوراثية عند السكان.**

كما تدرس الديمغرافيا النوعية التركيبة النوعية، يقصد به تصنيف سكان المجتمع أو تقسيمهم على أساس النوع أو الجنس (ذكر/أنثى) ويحسب التركيب النوعي على أساس عدد الذكور والإناث في المجتمع، والتّي يستخرج منها النسب والمعدلات.

- الديموغرافيا الاقتصادية والاجتماعية: **تدرس آثار الظواهر الديموغرافية على الظواهر الديموغرافية والاجتماعية والعكس صحيح، أي أنّها تدرس التفاعل بين الظواهر الديموغرافية من جهة والظواهر الاقتصادية الاجتماعية من جهة.**

- الديموغرافيا التاريخية: **تهتم بالدراسة الديموغرافية ولكن بالنسبة للمجتمعات القديمة.**

- علاقة علم السكان بعلم الاجتماع: **توجد علاقة بين علم السكان وعلم الاجتماع؛ فهناك ثلاث عوامل أساسية أدت إلى اعتبار علم السكان ميدان هام للبحث في علم الاجتماع، أن يكون موضوع دراسة علم الاجتماع هو المجتمع من حيث بنائه وتغيره وحيث أنّ السكان يشكلون العنصر الأساسي في المجتمع فإنّهم بالتالي يدخلون في دائرة اهتمام علم الاجتماع.**

يعتمد علماء الاجتماع عند تحليلهم للظواهر الاجتماعية على المعطيات الديموغرافية والمتغيرات السكانية، ويستفيدوا بها على المستويات المتباينة، وخاصّة الأسرة والمدينة وجماعات الأقليات والطبقات الاجتماعية والتدرج الاجتماعي والنسق السياسي والنظام القيمي، والمكانة الاقتصادية والاجتماعية وما إلى ذلك من الموضوعات التّي تقع في بؤرة اهتمام علم الاجتماع.

أنّ تحليل ودراسة العلاقة بين الظواهر السكانية والظواهر الاجتماعية يثري علم الاجتماع ويساعده على الوصول إلى قدر عالٍ من التعليم، وتجريد المعطيات والوقائع ممّا يؤدي إلى تطوير نظرية علم الاجتماع، ومن ناحية أخرى فقد استفاد ميدان السكان نظريا ومنهجيا لعلم اجتماع السكان، وتثبيت دعائم استقلاله وتميزه عن مجموعة النظم الفكرية الأخرى، وذلك بتوفير القضايا الامبريقية والاستقرائية عن المتغيرات السكانية والاجتماعية والاستعانة بمناهج وطرق وأدوات البحث الاجتماعية في دراسة الظواهر السكانية(خليل، 2009).

يعتبر علم السكان أكثر التصاقا بعلم الاجتماع في الوقت الحاضر، كما أنّ بعض العلماء يعتقدون أنّ علم السكان يعتبر جزءا من علم الاجتماع نظرا لأنّه من بين اهتمامات علماء الاجتماع هي الدراسات الديموغرافية، ولذلك فإنّه على الرغم من استقلال علم السكان، إلّا أنّ هناك تداخلا واضحا مع علم الاجتماع وخاصّة فيما يتعلق بمعرفة معدل المواليد والوفيات والهجرة العمالية والكثافة السكانية وتوزيع السكان وتأثير النمو الحضري المفرط على زيادة المشكلات السكانية وزيادة نسبة الجريمة والانحراف بجميع أشكاله، غير أنّ الفرق الواضح بين علم الاجتماع وعلم السكان، أنّ الأوّل يدرس الظواهر العامة للمجتمع، بينما يهتم الثاني بمعرفة الأرقام العددية والنسب المئوية لفئات المجتمع وتركيباته المختلفة.